الجيزيون بالزراعة ان حرث الفدان حرثة واحدة بالمواشي تكلف لا اقل من اربعين غرشاً اذا حسب ثمن المواشي وثمن علفها واجرة الحراثين والكلافين واما الحرث بالمحاريث البخارية المتقنة فلا يكلف ربع ذلك فضلاً عن ان المحراث البخاري يحرث بسرعة فائقة ويغني عن عدد كبير من الانفار وتحضر به الارض سريعاً فلا تدعو الحال الى اخلائها من الزراعة زمناً طويلاً. وآلته تستعمل لادارة آلة دراسة في الوقت الذي تستعمل فيه للحرث او لجر القصاصيب والزحافات لتقصيب الارض وترحيفها. ويظهر باقل نظر ان هذا المجاً يقلل نفقات الزراعة فيزيد ربحها رغماً عن هبوط الاسعار ولذلك لا نعجب اذا شاعت وابورات الحرث في هذا القطر شيوع وابورات الري فيه او اكثر.

باب التقريظ والانتقاد

دلائل الاعجاز للجرجاني

الامام عبد القاهر الجرجاني من كبار ائمة العربية وكتابهُ دلائل الاعجاز من خيرة كتبه وضع فيه كثيراً من قواعد علم البيان قبل ان جمعها السكاكي. قال ابن خلدون "ان جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم كتبوا فيه املاءات غير وافية ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً الى ان محض السكاكي زبدتهُ وهذب مسائلهُ ورتب ابوابهُ". وحبذا لو بحث احد عن كيف انتبه كتّاب العربية الى الكتابة في هذا الفن وهل جاروا فيه غيرهم من السريان والفرس والروم او استنبطوهُ استنباطاً

وانشاء الدلائل مستحب عند بعض الكتّاب لكنهُ لا يخلو من التطويل والتكرير كقولهِ "ان ههنا دقائق واسراراً طريق العلم بها الروية والفكر. ولطائف مستقاها العقل. وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا اليها. ودلوا عليها. وكُشف لهم عنها. ورفعت الحجب بينهم وبينها. وان يبعد الشأو في ذلك وتمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز الطلب." وكثير من الكتاب على هذا النحو وهو اسلوب جرى عليهِ الكتّاب حينما صارت الكتابة صناعة وصار اربابها يستوزرون لتفوقهم بها على غيرهم. واسلوبهُ في شرح مسائل العلم على غاية البسط كقولهِ في معنى الفصاحة "ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شأن

هذه الاشكال ان يكون الواحد منها غفلاً ساذجاً لم يعمل صانعهُ فيهِ شيئاً اكثر من ان يأتي بما يقع عليهِ اسم الخاتم ان كان خاتماً والشنف ان كان شنفاً او ان يكون مصنوعاً بديعاً قد اغرب صانعهُ فيهِ . كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد منها غفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس كلهم ثم تراهُ نفسهُ وقد عمد اليهِ البصير بشأن البلاغة وإحداث الصور في المعاني فيصنع فيهِ ما يصنع الصانع الحاذق حتى يغرب في الصنعة ويدق في العمل ويبدع الصياغة وشواهد ذلك حاضرة لك كيف شئت وامثلتهُ نصب عينيك من اين نظرت . تنظر الى قول الناس " الطبع لا يتغير ولست تستطيع ان تخرج الانسان عمَّا جبل عليهِ " فترى معنى غفلاً عامياً معروفاً في كل جيل وامة ثم تنظر اليهِ في قول المتنبي

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فتجدهُ قد خرج في احسن صورة وتراهُ قد تحول جوهرة بعد ان كان خرزة وصار اعجب شيء بعد ان لم يكن شيئاً

وكل ذلك حسن في بابهِ ولكن ما قول الجرجاني لو اريد صوغ المعدن سيفاً او مدفعاً او بارجة او قاطرة او شيئاً آخر مما منهُ فائدة لا مما يقصد بهِ التزين والتحلي فان السيوف والمدافع اوالبوارج والقواطر تصير في ايدي الصاغة العاباً يتلهَّى بها الاطفال ويضحك منها الرجال

والكتاب كبير في اكثر من اربع مئة صفحة وقد وقف على تصحيح طبعهِ وعلَّق حواشيهُ حضرة العالم الفاضل والمنشيء البليغ السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي وقال في خاتمة الحقها بهِ ما نصهُ

"ولما هاجرت الى مصر لانشاء مجلة المنار الاسلامي في سنة ١٣١٥ وجدت الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية مشتغلاً بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز وقد استحضر نسخةً من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عندهُ وقد عني بتصحيحهِ اتم عناية واشرك معهُ فيها امام اللغة وآدابها في هذا العصر الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وناهيك بكتاب اجتمع على تصحيح اصلهِ علاَّمتا المعقول والمنقول . وبعد ان اتمَّ الاستاذ الامام تدريس كتاب اسرار البلاغة في الجامع الازهر عهد اليَّ بان اطبع كتاب دلائل الاعجاز بعدهُ فشرعت في الطبع وشرع هو في التدريس . وبذلت الجهد في تصحيحهِ ونسرت بعض الكلمات الغريبة فيهِ وفي شواهدهِ بالاختصار واشرت الى اختلاف النسخ اخذاً مما كتبهُ الاستاذ على هامش النسخة التي طبعنا عنها" . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد جداً

الجزء الثاني من ديوان الرافعي

بشرنا الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي انهُ شرع في طبع الجزء الثاني من ديوانهِ مشروحًا بقلم اخيهِ المنشئ البليغ محمد افندي كامل الرافعي . وقد قدَّم لهُ مقدمة مستهلة آخذ فيها شعراء العصر فقال ان مثل شعر اليوم والشاعر مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يحسن السباحة في لجهِ فاذا انقلب عنها لا يرجع حتى تكون لجسمهِ تابوتًا . ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ولا كانت البلاغة شيئًا يباع ويشترى ولكنهُ الضلال في النشأة والقصور في اسباب الصنعة والجهل بالمقاصد وضعف اللغة الى حد النزع بحيث لم يبقَ الاَّ نفسها الذي ينطق بروحها

ونقل عن عمرو بن العلاء قولهُ عن شعر المولدين " ما كان من حسن فقد سبقوا اليهِ وما كان من قبيح فمن عندهم ... ليس الخط واحدًا ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة قطع " ثم قال " ذلك والشعراء متوافرون على انهُ رحمهُ الله لو سمع اكثر شعر اليوم لزاد وقطعة نعل " . وآخذ المترجمين فقال انك لا تعرف سفي منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر بل تجد عليهِ من فساد التكلُّف ومغالبة الطبع واثر الاستكراه وفيهِ من المعاني المدخولة ما لا تشك معهُ انهُ من مضاغة قائلهِ الاول

ولا ندري ما يقول الشعراء متى اطَّلعوا على هذا القول . ولو كان الكاتب شيخًا همًّا لقلنا انها شنشنة الطاعنين في السن لا يرون حسنة الاَّ للاقدمين ولكن الشعر من اول عهد الناس بهِ الى الآن كما قال فيهِ ابو الطيب

ان بعضًا من القريض هذاء ليس شيئًا وبعضهُ احكامُ
منهُ ما يجلب البراعة والفضل ومنهُ ما يجلب البرسام

وسيكون الديوان حسن الطبع مستهب الشرح كما رأينا من الكراس الذي ورد علينا منهُ

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الثالث

هو كالجزئين السابقين جامع لزبدة ما في تواريخ العرب وفصولاً اقتضاها البحث استطرادًا اعرب فيها المؤلف المحقق رفيق بك العظم عن فكر ثاقب ورأي صائب وغيرة متقدة على صلاح امتهِ وملتهِ . والكلام فيهِ عن القواد الثلاثة العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن

ابي وقاص وعمرو بن العاص الذين رفعوا راية الاسلام في مصر والشام والعراق . والمواضيع التي طرقها المؤلف في عرض الكلام عنهم كثيرة وقد عقد لبعضها فصولاً خاصة من ذلك فصل في العمال رأينا ان ننقلهُ عنهُ برمتهِ دلالة على اسلوب المؤلف في بحثهِ قال

" اعلم ان عمران الممالك وترقي الدول يتوقف على امرين عظيمين هما صيغة الحكومة وامانة الرجال فالحكومة اذا كانت ذات صيغة دستورية اي حكومة مقيدة برأيِ الامة خاضعة لسلطة الشورى سعدت بها المملكة لغلبة الامانة في رجالها على الخيانة والعدل على الظلم . وانما تغلب الامانةُ الخيانة في رجال هذه الحكومة لما هناك من الهيمنة الشرعية على الحاكم من المحكوم اذ الظلم كمين في النفس القوة تظهرهُ والعجز يخفيهِ وانما يمنع النفوس ان تنزع منازع الظلم مانع القوة وهو هيمنة الشعب القانونية . هذا في الحكومات الشورية واما في الحكومات المطلقة فمانع تلك النفوس عن الظلم احد امرين . اما الزاجر النفسي وهو الشعور الديني الناشيء عن الورع والتقوى الباعثين على الخوف من بارىء النفوس : واما سيطرة السلطان وهذه لا تكون في الحكومات المطلقة الاَّ من امير مستبد عادل اذ المستبد الظالم شأنهُ مع عمالهِ شأنهم مع الرعية فلا سيطرة لهُ على العمال ولا يرجى منهُ الخير

" ومما لا مشاحة فيهِ ان الحكومة الاسلامية في مبدإ ظهورها كانت كما رأيت فيما مرَّ من هذا الكتاب تشبه من بعض الوجوه الحكومة الشورية كما انها لم تخلُ من صبغة استبدادية وكيف ما كان حالها فقد علمنا ان العمال احوج ما يكونون الى المراقبة ليقوم بهم عمران البلاد وتنتظم شؤون المملكة . وسواء قدَّرنا ان هيمنة عمر بن الخطاب الشديدة على عمالهِ كانت مستمدة من قوة السلطة المطلقة او من قوة السلطة القانونية او مشتركة بينهما فقد ساعدهُ مانع القوة اي قوة الهيمنة الشرعية ومانع الدين على ان ينزع من نفوس العمال آثار الظلم ويبسط بواسطتهم للرعية الطمأنينة والعدل لتمهد للمسلمين سبل الفتح ويرتاح الشعوب المغلوبون لحكم الاسلام ويتفيئوا ظلال السكون ويتبسطوا في مناحي العمران فما كان يختار للحكم والامارة الاَّ احد رجلين رجل لهُ دين يردعهُ او رجل عندهُ خوف يمنعهُ . وكلا الرجلين بالاضافة الى غرض الرعية والامام واحد "

" فمن عمالهِ الذين كان لهم دين يردعهم ابو عبيدة بن الجراح وكثيرون غيرهُ ومع ما عرف عن هذا الصحابي الجليل والعامل الامين والقائد العظيم من الاناة والرفق ولين الجانب والورع والزهد فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ لا يتساهل معهُ بحق من حقوق الهيمنة عليهِ والنظر في سيرتهِ كما لم يتساهل مع غيرهِ ايضاً ممن هو في طبقتهِ في الورع او ممن هو دونهُ فيهِ وذلك

قياماً على اوامر الشريعة واداء لحق الهيمنة على تمشية قوانين الشرع على نهج السداد وحرصاً على رضى الله والرعية"

"روى ابن عساكر ان عمر بن الخطاب ارسل الى ابي عبيدة باربعة آلاف درهم أو أربعمائة دينار وقال للرسول انظر ما يصنع فقسمها ابو عبيدة. ثم ارسل بمثلها الى معاذ فقسمها معاذ الاّ شيئاً قالت له امرأته نحتاج اليه. فلما اخبر الرسول عمر قال الحمد لله الذي جعل في الاسلام من يصنع هذا"

"هكذا كان عمر يمتحن حتى اتقى عماله وأرفقهم بالرعية وآمنهم على امور الناس واحكام الشرع لهذا بلغ العدل في عصره غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد وامتدّ سلطان المسلمين على قسم عظيم من الارض لم يسمع لسكانه شكوى من خيانة عامل في عمله وظلم في حكمه بل كانت الرعية قاطبة راضية عن حكم الاسلام متمتعة بالراحة آخذة في طريق الصعود الى قمم السعادة الاجتماعية والحياة المدنية. آمنة من شرور الفتن التي يضطرب لاجلها حبل الدولة ويختل نظام الاجتماع. ومن تصفح تاريخ الاسلام ووقف على أخبار دوله لا يرى سبباً لاختلال امر دولة قط الاّ خيانة العمال وجورهم وتساهل الملوك في الاخذ على ايديهم اما بحكم الضرورة او بحكم الضعف وسوء السياسة شأن كل الدول ايضاً لا دول الاسلام وحدها"

"وانا لنعجب من غلو بعض المؤرخين في ذم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل دولة بني مروان على العراق وانما يحوج الى الحجاج من هو مثل الحجاج اذ العامل الخائن اذا افسد قلوب الرعية بجوره وقبح سيرته يثير في نفوسها ثائر البغضاء على الدولة ويحفظ عليها قلوب الامة فتستعصي على الحاكم ويخرج امتلاك ازمتها عن طوق الدولة الاّ باستعمال مثل الحجاج قوي الشكيمة قليل الرأفة. هذا في الدول المطلقة كدولة الامويين واما في الدول المقيدة فقلّ ان يكون شيء من هذا وذاك وعلى تقدير حصوله فالرأفة تقوم مقام العنف والعدل يغني عن استعمال القوة والانسان اسير الاحسان وغاية ما يرمي اليه الطمأنينة والامان. وحسبك شاهداً على هذا ان الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموي لما نحا في الحكم والامارة منحى عمر ابن الخطاب من حيث العدل وتتبع سيرة العمال وانتقاء اخيار الناس للولايات تألف قلوب الامة واستلم قياد الرعية بعد ان انفضّوا من حول بني مروان ثم لم يلبث ان عاد المروانيون بعده الى سيرتهم حتى ضعف امرهم وغُلبوا على ملكهم لتفرق القلوب وانفضاض الناس من حولهم وما كان ذلك الاّ من اطلاق يد العمال وامعان هؤلاء في الجور. هذا بقطع النظر عن بعض الخلفاء الامويين الذين كانوا من حسن السيرة والقيام على العدل بحيث لا يخرج عليهم خارج اباء لحكمهم

او تظلّماً منهم وانما ذكرنا بني مروان مثالاً في الدول التي اصابها الضعف وقضى عليها سوء الادارة وجور العمال بالانحلال كما انا كتبنا هذا الفصل ليكون مقدمة لما عساهُ يرد بعدنا من أخبار الدول في الغابر . وعظة يتعظ بها الحاضر . وانا والله اصبحنا في عصر احوج ما نحتاج اليهِ فيهِ معرفة العلل التي تمكنت من جسم الدول الاسلامية فأودت بحياتها الاستقلالية الى ما يعلم ويشاهد ورحم الله امرءاً اتعظ واعتبر . وقوماً اثر في نفوسهم توالي العبر"

والكلام عن فتح مصر مسهب بالنسبة الى ما في كتب العرب ولكنهُ موجز بالنسبة الى ما كتبهُ المحققون من الاوربيين في هذا الموضوع فان كتاب بطلر الذي اشار اليهِ المؤلف يملأ نحو ثلثمئة صفحة من صفحات المقتطف لو ترجم الى العربية ونلخص بعض فصولهِ كما لخصنا ما كتبهُ عن المقوقس

وقد طلبنا من المؤلف الفاضل لما قرظنا الجزء الثاني من تاريخهِ ان يزيدنا تحقيقاً في الخبر الذي ذكرهُ الواقدي وتداولتهُ تواريخ الافرنج عن اتباع خالد بن الوليد بعض الذين اجلوا عن دمشق وقتلهم . فاجابنا في هذا الجزء" ان تاريخ الواقدي من كتب المغازي والقصاصين التي لم يعرّف واضعوها الى الآن وانما نُسب هذا الكتاب الى الواقدي لكثرة ما عُرف عن الرجل من رواية الاخبار . هذا من وجه ومن آخر فان الثقات من اهل الاخبار والمحدثين يوهنون رواية الواقدي فلو فرض صحة نسبة الكتاب اليهِ فانهُ عندنا غير موثوق "

فن الولادة

يندر ان يطبع كتاب علمي في العربية وتنفد نسخهُ كلها ولو مرّت عليهِ السنون الطوال لكن هذا الكتاب كان من نصيبهِ سرعة الانتشار حتى نفدت نسخهُ لشدّة الحاجة اليهِ فرأى مؤلفهُ الفاضل صاحب السعادة الدكتور عيسى باشا حمدي الذي كان رئيساً للمدرسة الطبيّة المصرية وطبيباً للعائلة الخديوية ان يعيد طبعهُ بعد ان يضيف اليهِ فصولاً وتحقيقات شتّى مما اقتضاهُ تقدم العلوم الطبية والجراحية . ويظهر مقدار الزيادة فيهِ من ان اشكالهُ كانت في الطبعة الاولى ١٦٦ شكلاً فبلغت في هذه الطبعة الثانية ١٩٩ شكلاً . واكثر الزيادة فيهِ الوقاية من التعفن النفاسي وعلاجهُ والرضاعة على انواعها وتعقيم اللبن وكشف ما فيهِ من المواد والقطام وزمنهُ وكيفيتهُ والضعف الخلقي الذي يولد فيهِ الاطفال وما يناسبهُ من التحفظات الى غير ذلك مما زادت بهِ فائدة الكتاب فنشكر لحضرة مؤلفهِ ونتمنى ان يقتدي بهِ غيرهُ من الذين الفوا كتباً علمية باللغة العربية ثم جفّت في موضوعها مباحث كثيرة لا يصح ان تبقى غُفْلاً منها